

الاستشراق والتشريع الإسلاميّ

عرض ودراسة تحليلية

د. صاحب محمد حسين راضي نصّار^[*]

ملخص

اهتمّ المستشرقون منذ بدايات اتصالهم بالعالم الشرقيّ بمعرفة ما عليه شعوبه وأممّه من اللغات والأديان والمذاهب والأماكن الاستراتيجية والآثار المهمّة والموارد الأساسيّة وبكلّ دقائقه، وقد جعلوا لهذه الدراسات أقسامًا خاصّة في جامعاتهم ومنحوها عناية خاصّة، وليس ما قام به الرخالة منهم إلى مواطن الشعوب الشرقيّة لدراسة كلّ ما يتعلّق بشؤونها التاريخيّة والدينيّة والسياسيّة والجغرافيّة والاقتصاديّة وما إلى ذلك، وكانت أعمالهم مضمّنية وتحتاج إلى جهود استثنائيّة بشريًّا وماليًّا...، ومن هذه الأعمال المهمّة التي تستحقّ الوقوف والدراسة والتحقيق ما قام به بعض المستشرقين دارسي التشريع الإسلاميّ فقهاً وأحكاماً، ولاّتساع الموضوع تطلّب البحث التخصّص والتدقيق بكلّ مفردة. لذا، حاولت جاهداً الإلمام بأغلب مفردات الموضوع ذاكرًا جهود المستشرقين وما قدّم إيجابياً وبالوقت الذي لم نعمطهم حقّهم في بذل الجهد والمال، لا يخفى أنّهم كثيراً ما أساءوا فهم بعض النصوص والمفردات

[١]- باحث في الدراسات الإسلاميّة، العراق.

والمسائل، لذا نراهم أحياناً كثيرة اخطأوا بترجمة بعض المسائل والأحكام فتغيّر المعنى وأدى بالنتيجة إلى تغيير الحكم الشرعيّ، وهو ما يمكن أن يعزى إلى أهداف وغايات لم تكن خافية على الكثير، وما يقودهم به جهلهم إلى سلوك غير علميّ يفرز بالضرورة نتائج سلبية غير سليمة، توجب قطعاً الوقوف منهم موقف الحذر واليقظة من هذه السموم، فعلى الباحث الموضوعيّ ألاّ ينساق وراء هذه المسائل لكي لا يصل إلى نتائج لا تحمد عقباها.

الكلمات المفتاحية: التشريع الإسلاميّ، الاستشراق، الحكم الشرعيّ، المسار التاريخي، اليقظة.

المقدمة

ولبيان مفردات الدراسة بالصورة العلميّة، انتظم البحث على فصلين؛ الأوّل منه اختصّ ببيان حقيقة الاستشراق وماهيّته وتاريخه وما مرّ به من نشأة وتطور وصولاً لما نحن فيها الآن؛ وذلك في المبحث الأوّل منه، أمّا المبحث الثاني؛ فقد حوى الدوافع والأهداف والغايات للمستشرقين في دراساتهم وأبحاثهم، أمّا الفصل الثاني؛ فكان المبحث الأوّل منه يمثّل صلب البحث والغرض الأساس من الدراسة، وقد ضمّ أبرز دراسات المستشرقين للتشريع الإسلاميّ وأهمّها وما اختصّوا به في هذا الجانب المهمّ، وتمّ توزيع هذه الدراسة حسب الدول في العالم ككلّ والتي لها جهد استشراقيّ أكثر من غيرها، ومن ثمّ أدرجت أسماء المستشرقين لهذه الدول وفق المسار التاريخيّ لهم وضعت إزاء كلّ واحد منهم جهده وما اشتهر به، وقدمت بعد ذلك في المبحث الثاني نموذجاً تطبيقياً لأحد المستشرقين عرضت فيه سبب اختياره وجهده وعالجت بذلك أسلوبه دارساً وناقداً وموضحاً، ثمّ ختمت الدراسة بأهمّ النتائج التي أفرزتها الدراسة وتوصّل لها الباحث أردفتها بعد ذلك بأهمّ المصادر والمراجع المعتمدة. وأخيراً، أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفّقت ولو بجزء يسير، وأسأله أن يأخذ بيدي لما فيه الخير والصالح وأن يكون عمليّ خالصاً لوجهه الكريم خدمة لشريعة المصطفى الغراء إنّه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

المسار التاريخي لنشأة الاستشراق ودوافعه

الاستشراق في لغة العرب: مشتق من كلمة شرق؛ أي جهة شروق الشمس، وشرق أخذ في ناحية الشرق^[١]، والسين في كلمة الاستشراق تفيد الطلب؛ أي طلب دراسة ما في الشرق^[٢]، ويضارع موقع السين هنا موقعها في الذكر الحكيم لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾^[٣]، ولفظة استشراق ومشتقاتها مولدة استعمالها المحدثون حين ترجموا كلمة (Orientalists) ثم استعملوا من الاسم فعلاً، فقالوا: استشرق^[٤].

وقد عرف الغربيون المستشرق (هو كل من تبحر في لغات الشرق وآدابه)^[٥].

والاستشراق هو علم^[٦] يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم^[٧]، والذي يبدو هنا أنّ العلاقة وثيقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات بالمستشرقين (وهم جماعة من المؤرخين والكتّاب الأجانب الذين خصّصوا جزءاً كبيراً من حياتهم في دراسة المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق الإسلامي وتتبعها^[٨] وفي أحيان آخر يدعون (Arabist) أي المستعربون، علماً بأنه ليس كل

[١]- لسان العرب: ابن منظور ٢٠ - ٣٠٣ (مادة شرق)، مختار الصحاح: الرازي ٣٣٦ (طبع الكويت)، المعجم الوسيط: مصطفى إبراهيم ١ - ٤٨٢.

[٢]- المستشرقون والحديث النبوي: محمد بهاء الدين، رسالة ماجستير الآلة الكاتبة، جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية، ص ٦.

[٣]- سورة البقرة، الآية ١٠.

[٤]- الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري: د. غفيف عبد الرحمن، دار الحرية للطباعة بغداد - ١٩٨١م، ص ٣٩٩، تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربي: د. عبد الجبار ناجي.

[٥]- المستشرقون البريطانيون: أربري، ص ١٠.

[٦]- يرى إدوارد سعيد أن لا يطلق على الاستشراق (علماً)؛ لأنه في رأيه يجعل موضوعه ويصوّر لنفسه حقائق مقتنع بها. ينظر: الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة: نبيل بيهم، طبع بيروت ١٩٨١م ص ١٥١، منهج المستشرقين: د. سعدون الساموك بغداد ١٩٨٩م، ص ١٧.

[٧]- الاستشراق نشأته وأهدافه: د. حسن ضياء الدين عتر، ص ٢٦، منهج المستشرقين: د. سعدون الساموك، ص ١٧.

[٨]- تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربي: د. عبد الجبار ناجي، ص ٢٣.

مستشرق مُستعرباً^[١]؛ لأنّ استعمال (استعرب) لدرس العربيّة فقط ومُستعرب مقابل للفظة (Arabist).

ويراد بالمستشرقين العلماء الإفرنج الذين توفّروا على دراسة تراث الشرق عموماً وعلى دراسة الثقافة العربيّة وتاريخ العرب والإسلام والمسلمين وعلومهم وآدابهم وأخلاقهم وتقاليدهم^[٢]، ومنهم من يرى أنّ الاستشراق هو (اشتغال غير الشرقيين وغير العرب بدراسة حضارة الشرق ولغاته وروحانيّاته وأثر ذلك في تطوّر البناء الحضاريّ للعالم)^[٣]، والاستشراق ليس مقصوراً على كلّ من يهتمّ بالعرب والعربيّة، بل هي كلمة تطلق على دارس الشرق كلّ أو جزء منه، سواء أكان الشرق الأقصى أم الأوسط أم الأدنى، وتطلق على كلّ دارس لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه^[٤]، والذي يبدو لي - أنّ اصطلاح الاستشراق فيه تسامح؛ فالمعنى والمتبادر منه هو دراسة ما في الإسلام والمسلمين، ولعلّ لهذه المفردة مدلولها في تدوير المفاهيم الإسلاميّة ما كان صادراً من اليهود والنصارى الباحثين، ومن ذلك ما شاع في أدبيّات الشاميّين والمصريّين وكتاباتهم مطلع القرن العشرين من كلمات «الشرق والشرقيّين» وقد كانت تعدّ مأخذ عليهم، كقول أحمد شوقي:

نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق^[٥]

أو كقول حافظ إبراهيم:

ألم تعلموا أنّا بذخري نباغة نفاخر أهل الشرق في أيّ مجمع^[٦]

بينما كان المقصود هو العرب أو المسلمون، ولعلّ دعائها أشبه بدعاة الفرعونيّة في مصر، هذا هو الاستشراق بمفهومه الواسع، والذي يهتمّنا في هذه الدراسة هو

[١]- تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربيّ: د. عبد الجبار ناجي، ص ٢٣.

[٢]- المعجم الأدبيّ: جيتور عبد النور، ص ١٧.

[٣]- المستشرقون والتراث: جمال الدين الألويسي: مطبعة وزارة الأوقاف بغداد (ب ت ط) - ٢٠٧٥.

[٤]- الجهود اللغويّة خلال القرن الرابع عشر الهجريّ: د. عفيف عبد الرحمن ص ٣٣٩.

[٥]- الشوقيّات: أحمد شوقي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، (ب ت ط) ٧٥-٢.

[٦]- ديوان حافظ إبراهيم: حافظ إبراهيم، مطبعة دار العودة، بيروت عام ١٩٣٧م، ط ١٢١-١٢ (قصيدة بمناسبة تهنئة أحمد شوقي).

الاستشراق المعني بدراسة التشريع الإسلامي ومتابعته.

لا يوجد اتفاق ورؤية موحدة بين الباحثين والدارسين في موضوع نشأة الاستشراق وفي زمن محدد ومعين لبداياته، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على اتساع دائرة الاستشراق وإيغالها في القدم وتشعبها في الدوافع والغايات. وهنا، أحاول استعراض جلّ الآراء باختصار وترجيح ما يبدو إلى الرجحان في ذلك، ومن ثمّ بلورتها على شكل مراحل وكما يأتي:

الرأي الأوّل: ويذهب إلى أنّ تاريخه يعود إلى القرن الأوّل الميلاديّ عندما ظهرت معلومات مُفصّلة عن الخليج العربيّ وحملات الإسكندر فيه التي كتبها (فلافيسوس أريان) اليونانيّ كان الغرض منها السيطرة على طرق التجارة^[١].

الرأي الثاني: والذي يرجع تاريخه إلى الرهبان الذين قصدوا الأندلس أبان مجدها طلباً للعلم وأبرزهم الراهب الفرنسيّ هربرت الذي انتخب بابا لكنسية روما عام ٩٩٩م. وقد اتّسمت دراسة هؤلاء الرهبان وكتابتهم بالتخصّص بالتاريخ العربيّ الإسلاميّ وكذلك الأحوال الدينيّة للمنطقة العربيّة، وبرز فيها الأفكار المعادية للرسول ﷺ والرسالة قصداً أو عن غير قصد لجهلهم وحقدهم، لاعتمادها على الكذب والأساطير والتحريف^[٢]، ومن أبرز المرّجّحين لهذا الرأي هو نجيب العقيقي.

الرأي الثالث: ويرى بأنّ الحروب الصليبيّة بداية الاستشراق، حيث بدأ الاحتكاك السياسيّ والدينيّ بين الإسلام والنصرانيّة^[٣].

الرأي الرابع: وينصّ بأنّ البدايات هي التي تزامنت مع الحروب الدمويّة التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة عام ٤٤٨هـ^[٤].

الرأي الخامس: الذي يرى أنّ البدايات تعود إلى القرن الثاني عشر للميلاد حيث

[١]- تطوّر الاستشراق: عبد الجبّار ناجي، ص ١٣، منهاج المستشرقين: د. سمدون الساموك، ص ١٦.

[٢]- المستشرقون: نجيب العقيقي ص ١٩، تطوّر الاستشراق: د. عبد الجبّار ناجي، ص ٨٦-٩٠.

[٣]- الاستشراق نشأته وأهدافه: حسن ضياء الدين، ص ٢٣.

[٤]- المصدر نفسه، ص ٢٣.

كان أوّل ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وذلك سنة ١١٤٣ هـ^[١].

الرأي السادس: حيث يميل أغلب المؤرّخين والباحثين إلى أنّ (بدء الاستشراق الرسميّ بصدور قرار المجمع الكنسيّ عام ١٣١٢ م في فيينا بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربيّة واليونانية والعبريّة والسريانية في جامعات فرنسا ولندن وبولونيا وسلامانكا)^[٢].

الرأي السابع: الذي يرى أنّ البدايات تعود إلى حاجة العرب للردّ على أعداء الإسلام ولمعرفة أسباب القوّة الدافعة لأبنائه خاصّة بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ م حيث وقف المسلمون سدّاً منيعاً لانتشار النصرانية وذلك بتسلّحهم بمفاهيم ومبادئ إسلامية^[٣].

وبعد هذا العرض المختصر للأراء، يمكن درجها على ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: وتبدأ من اللقاء المبكر بين الإسلام والمسيحية الذي أشرنا إليه من القرن الثامن والعاشر الميلادي وتمتدّ هذه المرحلة إلى القرن الثامن عشر، وقد كانت دراسة الإسلام دراسة مُعرضة في مجملها بسبب التعصب الديني وكان معظم المستشرقين من اللاهوتيين، حتّى بلغ ببعض المستشرقين الحقد بأنهم قاموا بحرق المخطوطات بعد تحقيقها.

المرحلة الثانية: امتدّت من القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن العشرين، وقد ظهر في هذه المرحلة عاملان أثرا في دراسة الإسلام، هما حركة الاستنارة والحركة الرومانسية.

المرحلة الثالثة: وتبدأ من أواسط القرن العشرين، والملاحظ في هذه المرحلة

[١]- مناهل العرفان: عبد العظيم الزرقاني، ٢-٤.

[٢]- الاستشراق: إدوارد سعيد، ص ٨٠، الغزو الأوروبي للفكر العربيّ الإسلاميّ: عبد الباسط عبد الصمد، ص ٨٥-٨٦، محاضرات الدكتور فاروق عمر فوزي على طلبة الدكتوراه في كلية الشريعة جامعة بغداد للعام الدراسي ٩١-٩٢.

[٣]- الإسلام والاستشراق: محمود حمدي زقزوق، ص ٢١، الاستشراق نشأته وأهدافه: حسن ضياء الدين، ص ٢٣.

أن الموضوعات والبحوث تكاد تقترب من الموضوعية والإنصاف وإن كان بعضها بعيداً عن ذلك^[١].

ومن الجدير بالبيان أن أي عمل أو موضوع أو مسألة لم تتضح وتتكامل رؤيتها وصورتها الحقيقية إلا بعد مدة من الزمن، علماً بأن المساهمات الأولى -التي لا يمكن إغفالها والاستهانة بها- لا تمثل الاستشراق بصورته الحالية المتكاملة من الغزارة والتخصّص ويكون له أصوله ومدارسه ومناهجه.

وبالخلاصة: يمكن القول: إن بدء اتصال الغرب بالحضارة العربية اتصالاً فعلياً ومؤثراً منذ بزوغ النهضة الأوروبية في القرن العاشر الميلاديّ أو قبله بقليل، فقد ظهرت طلائع المستشرقين آنذاك وهم طائفة من علماء الغرب وجمهوره من الرهبان وبدا أكثر ما يكون تنظيمًا وانتشارًا واستمرارًا بالفاتيكان للإفادة منه في الردّ على البروتستانتية بعد انفصالها عنهم، وقد عرفه هؤلاء من عرب الأندلس فأخذوا يتعلّمون العربية واطّلعوا على التراث العربيّ والثقافة العربية ودرسوه. وبعد ظهور أو اختراع المطبعة، في القرن الخامس عشر الميلاديّ نلاحظ أن المستشرقين كانوا من أسبق الناس إلى طبع الكتاب العربيّ «وإنّ المرء ليعجب من غزارة ما طبعوه من تراثنا، وكان هذا الاختراع العظيم إنّما جاء لخدمة ذلك التراث وحده وإذاعته ونشره، وكأنّه لم يكن بين أيدي الناس في تلك الأيام من تراث الإنسان إلا تراث العرب^[٢]».

ولتأكيد ما أوردناه، نذكر النصّ الآتي: «يكاد الإجماع ينعقد على أن الاستشراق كحركة منظّمة بدأت مع أواخر القرن الثامن عشر وطلیعة القرن التاسع عشر لم تكن نتيجة لحبّ الاستطلاع لمعرفة الشرق بقدر ما هي حركة مرتبطة أساساً وهدفاً بالمطامع التجارية والاقتصادية، وإثبات التفوق فضلاً عن الأغراض الدينية التبشيرية^[٣]»، وهو ما سنوضحه في المبحث الآتي.

نعم، لم يكن اعتزازاً أو اهتماماً بتراثنا وإنّما لحاجتهم إليه لما فيه من كنوز

[١]- الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري: د. عفيف عبد الرحمن، دار الحرّية للطباعة بغداد، عام ١٩٨١، ص ٣٩٩ وما بعدها.

[٢]- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربيّ: محمود محمّد الطناجي، ص ٢١١.

[٣]- مجلّة الاستشراق تصدر عن آفاق عربية بغداد لعدّة أساتذة وباحثين العدد الثالث عام ١٩٨٩ م ص ٦٩.

وعلوم ومعارف وفضلها بلغوا ما أرادوه وكذلك نواياهم الشريرة والحاقدة في التبشير بالمسيحية ومحاربة الإسلام فضلاً عن الاستعمار بشتى صنوفه السياسية والعسكرية والاقتصادية والاستراتيجية والثقافية وما إلى ذلك كثير.

دوافع الاستشراق وأهدافه

إنّ الذي حفزَ المستشرقين إلى الدراسات الاستشراقية دوافع متعددة تشكّل بمجموعها مواقف تكاد تكون أغلبها سلبية تجاه الشرق وتراثه، وأحاول الآن تلمّس الأسباب والأسس لهذه الدوافع والبواعث بعد أن استعرضنا الآراء في نشأة الاستشراق والمراحل التي مرّ بها حتى الآن وسوف نعالجها ونحللها وفق العوامل التي أسهمت إسهاماً فاعلاً وجاداً ونحاول استعراضها كما يلي:

أولاً: الدافع الدينيّ التبشيريّ: بعد انتشار الإسلام برسالته السماوية السمحاء في أرجاء المعمورة وأثر ذلك فكرياً وسياسياً وأخلاقياً وسلوكياً، من الطبيعي أن يكون على حساب ما كان مطروحاً من أفكار ورؤى سياسية متمثلاً بالإمبراطورية الرومانية المسيحية التي كانت تدّعي بأنّها الممثل الوحيد للدين المسيحيّ في العالم الغربيّ، وغيرها من مراكز الثقل الدينيّ والسياسيّ والتي لم تكن بمستواها من حيث التأثير والقوة.

فكانت بدايات التفاعل الفكريّ والثقافيّ الواسع بواسطة -الأندلس- لاحتضانها مدّة ليست بالقصيرة زمناً من الغربيين متأثرين بالثقافة الإسلامية وبالفكر والمقومات الثقافية نتيجة وضوحها وبساطتها وبعدها عن التعقيد والانحراف ممّا حدا برجال دينهم وقادتهم التحرك وفق هذا المنظور، فقد ذُكر بأنّه حين التقى الإسلام بالمسيحية في الأندلس، وأقبل المسيحيون على دراسته بحماسة استرعى نظر علماء رجال الدين المسيحيّ، فقد شكوا الأسقف (الفارو) من هذه الظاهرة حين اتّهم كثيراً من المسيحيين بقراءة الشعر العربيّ وفلسفة المسلمين وفقهم لا لدحضها بل لإتقان العربية والتعبير بها بلاغة، ولكنهم لا يستطيعون إتقان كتابة رسالة باللغة اللاتينية حتى لقد نسوا لغتهم^[١]،

[١]- الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجريّ: د. عفيف عبد الرحمن، ص ٤٠٠، قضايا عربية معاصرة: مجلة علمية بيروت ١٩٧٨، ص ٢٥.

ومن الواضح أنّ أوّل الدوافع والأهداف من أعمال المستشرقين وبدايات الاستشراق من القرن الثاني عشر الميلاديّ والقرون التي تلتها هو التبشير، وهذا هو الباعث في مقدّمة الدوافع الاستشراقية كيف لا وإنّ الاستشراق هو «أوّل ما ظهر بالرهبان^[١]».

إنّ التقدّم الحضاريّ للعرب والمسلمين أدّى إلى أن تتحفّز أوروبا لمعرفة ما في الشرق من علوم وتراث تدفعهم عصبية الكنيسة لتشويه الحقائق والطعن بفكر الإسلام ودينه، وقلب المحاسن مساوئ بحيث وصفوا الإسلام بأنّه دين جامد غير قابل للتطور، وأعطوا صورة غير حقيقية ومشوشة عن الإسلام والواقع يكذبهم لقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^[٢]، وأصبح الكذب على الإسلام ورسوله ﷺ وكتابه هو ما يميّز هؤلاء ولما توسّعت اتّصالات الغرب بالشرق وبانت لكثيرين منهم الحقائق على ما هي عليه ترعزت الثقة بكتابات المستشرقين، وعلى سبيل المثال لا الحصر: كتاب الأبطال لكارليل^[٣]، الذي وضّح فيه جانباً مشرفاً لسيرة المصطفى ﷺ وعلى أنّه بطل عظيم لا رسول كريم^[٤].

وفيه طعن لمقام النبوة؛ حيث جعل الرسول الكريم ﷺ في مقام أيّ بطل من الأبطال، ويكفي الرسول الكريم مقاماً عظيماً أنّه وصف من قبل الله عز وجل بأنّه رسول الله وخاتم النبيّين وقد أورد البهي بهذا الخصوص ما نصّه: «والسبب الرئيسيّ والمباشر الذي دعا الأوروبيّين إلى الاستشراق هو سبب دينيّ في الدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الصليبيّة في نفوس الأوروبيّين ما تركت من آثار مرّة عميقة وجاءت حركة الإصلاح الدينيّ المسيحيّ فشرع المسيحيّون بروتستانت وكاثوليك بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينيّة، ولمحاولة تفهمها على أساس التطوّرات الجديدة التي تمخّضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتّجهوا إلى الدراسات العبرانيّة وهذه أدّت بهم إلى الدراسات العربيّة فالإسلاميّة؛ لأنّ الأخيرة كانت ضروريّة لفهم الأولى^[٥]».

[١]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ص ١٩.

[٢]- سورة الكهف، الآية ٥.

[٣]- الأبطال: توماس كارليل، تعريب: محمّد السباعي، المطبعة المصريّة بالأزهر، ١٩٣٠م، ط ٣، ص ٥٣.

[٤]- النبوة والعبريّة: محمود محمّد صدقي، ص ٦٥، المستشرقون، نجيب العقيقي، ص ٨٦.

[٥]- الفكر الإسلاميّ الحديث: محمّد البهي، منشورات مكتبة وهبة، (ب ت ط) مصر ط ٤، ص ٥٢٢.

ثانياً: الدافع السياسي والاستعماري: إن دوافع الاستشراق السياسيّة والاستعماريّة تهدف من بين ما تهدف إلى تعريف الدوائر الاستعماريّة السياسيّة بالجوانب الاستراتيجية والتراثية والحضاريّة والتاريخية للشرق بصورة عامّة والوطن العربيّ على وجه الخصوص؛ لأنّه يُمثّل الأساس الدينيّ والحضاريّ والاقتصاديّ. وإنّ هذا الدافع ما هو إلاّ مادةً وظيفيّة موضوعة في خدمة المنهج السياسيّ الغربيّ للمرحلة الاستعماريّة، لذا يملّي على المستشرقين عملاً في البلدان العربيّة والإسلاميّة، منها ضرورة إتقان اللغة، والتخصّص في فنون الشرق، فضلاً عن أنّ بعض المستشرقين لديه ولع خاصّ يحدو به إلى الاضطلاع بمهمّاته التي توجّهها الدول الاستعماريّة وفق تخطيط وتنظيم.

لذا، نراهم يشكّون المسلمين بعقيدتهم أو التقليل من أهميّة تراثهم، فقد أغدقت الجهات الاستعماريّة بمختلف صورها على جملة من المستشرقين بمختلف الإمدادات، وعلى سبيل المثال لا الحصر: المستشرق المجريّ (كولد تسهير) اليهوديّ الذي قدّم الكثير من المعلومات للأيمان، فقد رسم صوراً عجيبه مدهشة ومتناقضة للتراث العربيّ الإسلاميّ^[١].

ومن المعلوم أنّ أطماع الغرب في الشرق لم تنقطع حتّى بعد هزيمتهم في الحروب الصليبيّة، فنجد أنّ الحكومات الغربيّة قد استعانت بالمستشرقين فجعلتهم في سفاراتها ليؤدّوا لها الخدمة المطلوبة؛ وذلك بدراسة الشرق من نواح متعدّدة تاريخاً ولغة وعقيدة وعادات وثروات، ولا شكّ في أنّ معرفة النواحي المتقدّمة تسهّل معرفة كوامن القوّة والخير والمنافع، وهذا ممّا دفعهم بعد تمكّنهم من الشرق عسكرياً بعد الحرب العالميّة الأولى لمحاولة السيطرة على محاور الارتكاز في الشرق وزعزعت روحياً ومعنوياً أو سلب خيراته، وتمزيق وحدته وبثّ الفتن وتطبيق مبدأ (فرق تسد^[٢]). وعليه، فإنّ الحركة الاستشراقيّة قديمها وحديثها خدمت الاستعمار بصورة مباشرة أو غير مباشرة فأساءت إلى كلّ ما هو عربيّ أو إسلاميّ عن عمد أو غير عمد^[٣].

[١]- الاستشراق: مجلّة علميّة تصدر عن دار آفاق عربيّة، بغداد - العراق، لعدّة أساتذة العدد ١، ص ٢٠-٢١.

[٢]- موقف المشاركة من المستشرقين: د. صبحي ناصر حسين، ص ٤٧، الاستشراق نشأته وأهدافه: حسن ضياء الدين، ص ٢٨.

[٣]- التراث الإسلاميّ والمستشرقون: أنور الجندي، ص ٦.

وإنّ البعثات الدبلوماسية تؤدّي دورها الاستشراقي أيضاً؛ فكثير من أعضائها وقناصلها كانوا من العاملين في حقل الاستشراق وكتبوا عن العرب والإسلام الشيء الكثير، فكان (بوكون) قنصلاً لفرنسا في حلب، و(كلمهون) قنصلاً لفرنسا في القدس ثمّ في الأستانة، و(بوتي) الذي كتب عن المدينة الإسلامية قد عُيّن من قبل الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى^[١].

ثالثاً: الدافع العلميّ الثقافيّ: يبدو أنّ هذا الدافع على وجه الظاهر يحمل صفة تكاد تكون إيجابية لوجود فئة قليلة منهم بالنسبة اندفعت برغبة علمية لدراسة الإسلام وحضارته، والبحث عن الحقيقة، وإنّ هذا النوع من المستشرقين يفترض فيه التجرد من الأهواء والأحقاد. لذا، جاءت بعض من دراساتهم وأبحاثهم أقرب إلى الحقّ والمنهج العلميّ السليم. رغم هذا، نجد في ثنايا كتاباتهم سلبيات؛ فهي إما أن تكون بسبب جهلهم باللغة العربية، أو لحقدهم ومكرهم كما حدث لبروكلمان^[٢]. عندما ترجم عنوان كتاب فقهيّ بشأن (ذبائح أهل الكتاب) للشيخ المفيد في مدى حلّيتها وحرمتها فكانت الترجمة تحت عنوان (رسالة في معارك اليهود والنصارى) وقد وقع في الخطأ نفسه المستشرق كولدتسهير^[٣]؛ وذلك لحقدهم أو لعدم فهمهم أو تأثرهم بالمفاهيم الغربية التي يعيشونها التي تختلف اختلافاً جذرياً مع مفاهيم الشرق والإسلام بصورة خاصّة، فضلاً عن البيئة التي درجوا فيها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لكون هذا الخطأ عن عمد وقصد لتسويه الحقائق.

إنّ هذا الدافع والباعث للمسائل العلمية المحضّة والرغبة الثقافية في الاطلاع على ما في الشرق الإسلاميّ من معارف وعلوم وتشريع وحضارة وتقدّم؛ لأنّه كان يمثّل قمة التقدّم البشريّ حينذاك، ومن الجدير بالبيان أنّ حركة الاستشراق بصورة عامّة في واجهتها ودعواها ذات مظهر ثقافيّ علميّ حيث قادها جماعة من الغربيّين تفرّغوا في دراساتهم لأحوال الشرق العلميّة والثقافية والاجتماعية والسياسية والتي كانت لها تأثير بالغ الأهمية في حياة الشرق العلميّة والثقافية والفكرية والاجتماعية

[١]- تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربيّ: تد. عبد الجبار ناجي صدا.

[٢]- تاريخ الأدب العربيّ: بروكلمان، ١-١٨٨ + ٣-٣٥٠.

[٣]- العقيدة والشريعة الإسلامية: كولدتسهير من ٣٥٣-٣٥٤.

والسياسية لما تتمتع به الثقافة من مركز خطير في حياة كل أمة وجماعة إنسانية، وقد جاءت حركة الاستشراق بصورة واسعة النطاق بقيادة من يصفون أنفسهم أحياناً غالبية برجال دين كرّسوا حياتهم لخدمة دياناتهم الخاصة وكانوا يحاولون أن يُسبغوا على أبحاثهم الصفة العلمية الموضوعية فضلاً عن رجال الدين المبشرين بالمسيحية الذين كانوا بصورة أخرى يعملون بصورة علنية، كما ذكر آنفاً.

رابعاً: الدافع الاقتصادي والتجاري: إن معرفة الغرب للثروات الطبيعية وأحوال الأسواق التجارية والصناعات في الشرق فضلاً عن وجود أهمّ المواد الأولية من شتى الصنوف وما إلى ذلك دفعهم إلى إيجاد أسواق لصرف بضائعهم، وعملوا على عرقلة إنشاء مصانع حيوية في الشرق ممّا جعل السوق الشرقي سوقاً استهلاكية، كما عمل الغربيون على شراء المواد الأولية بأبخس الأثمان، وردّها مصنّعة بأسعار باهظة، ولا يخفى فإنّ هذا الدافع له أثر كبير في تنشيط الاستشراق^[١].

وقد يكون الدافع الاقتصادي الذي أوجده الفعل الاستعماريّ مرتبطاً بالهدف العلمي؛ باعتبار الاستشراق مهنة علمية يُوظف لها الأكفاء والمتخصّصون، فأساتذة اللغات الشرقية في العصر الوسيط عملوا لقاء أجر، وأوائل المستشرقين والموسرين نالوا جزاءهم بإرساء النهضة الأوروبية على خيرات الوطن العربيّ، وقد أغدقت الدول الاستعمارية على جملة من المستشرقين بمختلف الإمدادات حتّى شكّل ذلك دافعاً اقتصادياً لدى البعض منهم، أو مكسباً شخصياً أو سياسياً يحقق للبعض مرادهم. وقد أورد العقيلي بهذا الخصوص ما نصّه:

«فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه والانتفاع بثرواته والتزاحم على استعمارها، أحسنت كلّ دولة إلى مستشرقها، فضمّهم ملوكها إلى حاشيتهم أمناء أسراره وتراجمه وانتدبهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولّوهم المناصب وأجزلوا عطاءهم في الحلّ والترحال ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية^[٢]».

[١]- موقف المشاركة من المستشرقين: صبحي ناصر حسين، ص ٤٨، الاستشراق نشأته وأهدافه: د. حسن ضياء الدين ص ٢٩.

[٢]- المستشرقون: نجيب العقيلي ٣-١١٤٩.

وخلاصة القول إنه يوجد دوافع أخرى يمكن إدراجها ضمن الدوافع الأخرى المذكورة آنفاً كالدافع الاستراتيجي والبيئي وما إلى ذلك. ومن خلال هذا العرض المختصر للدوافع والأغراض والأهداف والغايات توضّحت وبرزت في ثنايا البحث مسائل مهمّة وبخصوص قسم منها، وعلى الرغم من تعدّد الدوافع لكن يرد التأكيد على الجانب الديني التبشيري؛ للأسباب الآتية:

إنّ العالم الإسلامي العربي يُعتبر نقطة الارتكاز المهمّة في الشرق من الناحية الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

أهميّة الشرق الاستراتيجية وما يتمتّع به عالمياً من جميع المعطيات وبالأخصّ مكانة العالم العربي الإسلامي منها.

بما أنّ الجانب التشريعي الفقهيّ الذي هو الأحكام العملية الشرعية للإسلام يمثّل صلب البحث ومدار الدراسة. لذا، كان الاهتمام بهذا الخصوص ومدارسته بشتّى طرقه لبيان هدف البحث والغاية من الدراسة وإثباتها وتأكيداتها.

الهزائم العديدة للغرب عسكرياً أبرزها الحروب الصليبية ذات الدوافع الخبيثة والنوايا الخطرة، والانهايار الثقافي؛ لعدم التزامهم الحقيقي بالكتب المقدّسة، نظراً لتحريفها وعدم التوجّه الفكريّ العقائديّ لها، لذا نجدهم اختاروا هذا المسار كمحاولة للوقوف أمام لغة الحوار الإسلاميّ الفكريّ والعقائديّ حيث يمثّل لغة القرآن الكريم، ولذا كانت البعثات والشخصيات والمؤسّسات والحملات وغير ذلك تترى الواحدة بعد الأخرى بصورة مباشرة علنيّة وغير ذلك بأساليب ووسائل شتى، لذلك كلّه يجب الحيطة والحذر من دراساتهم وأبحاثهم ورصد ما وراء ذلك بعين التركيز والعمق.

المبحث الثاني

الجهد الاستشراقيّ العالميّ في الفقه الإسلاميّ؛ عرض عامّ ونموذج تطبيقيّ

أحاول في هذا المبحث أن أعرض فيه لأبرز المستشرقين الذين كتبوا في التشريع الإسلاميّ ودرسوه وبحثوا وحقّقوا فيه، وما يتعلّق به تاريخاً وتأليفاً، وبالذات ما يخصّ الفقه الإسلاميّ أحكاماً وجهوداً، وكانت الخطّة في تنظيمه وتبويبه حسب الدول التي برز بها باحثون ودارسون كثر ويكون ترتيبها على هذا المنهج ومن ثمّ درج أسماءهم وجهودهم إزاءها وفق المسار التاريخيّ. وبهذا لا أدعيّ قد أحطت بكلّ الجهد الاستشراقيّ بالرغم من أنّي حاولت ذلك جاداً واجهداً. وينتظم الفصل على مبحثين؛ الأوّل: منهج يوضح الجهد الاستشراقيّ بشأن الفقه الإسلاميّ في جميع أنحاء العالم، والثاني منه: يعرض لدراسة مستشرق اختصّ في هذا المجال كنموذج تطبيقيّ على سبيل المثال لا الحصر، كما يأتي:

أولاً: الجهد الاستشراقيّ بشأن الفقه الإسلاميّ في أنحاء العالم

من خلال بيان الجهد الاستشراقيّ العالميّ واستقرائه بشأن الفقه الإسلاميّ، برزت دول عديدة لها جهود في هذا المجال العلميّ الدقيق، وقد حاولت إفراز كلّ جهد يعود لكلّ دولة على حدّة حتّى يتوضّح لدينا مقدار الجهد المبذول وثقل ذلك البلد علمياً ومن ثمّ يكون ترتيب المستشرقين في تلك الدولة وفق المسار التاريخيّ، كما يأتي:

مستشرقو فرنسا

كان جهد المستشرقين في فرنسا يعود إلى أواسط القرن الثالث عشر للميلاد بصورة عامّة ثمّ ازداد الاهتمام في القرن السادس عشر عندما نشأت الكليّة الملكيّة لتدريس اللغات الأجنبية، وفي القرن السابع عشر نشطت الدراسات الشرقيّة فيها لأسباب دينيّة وسياسيّة^[١].

ومن الجدير بالبيان، أنّ فرنسا انفردت من بين سائر الدول الأوروبيّة بتعدّي

[١] - منهاج المستشرقين: د. سعدون الساموك وعبد القاهر العاني، ص ٣٢-٣٣.

الاستشراق لحدودها وامتداد الاستشراق الفرنسيّ إلى البلدان العربيّة مشرقيةً ومغربيّةً وخاصةً في الجزائر وتونس والقاهرة ودمشق وبيروت حيث جامعة القديس يوسف التي يعمل فيها عدد كبير من الآباء اليسوعيين من المستشرقين^[١]، ثمّ حذت أمريكا وبريطانيا وألمانيا حذوها في فتح المعاهد والجامعات في المشرق لتخدم أغراضهم. وفيما يأتي إدراج أبرز المستشرقين الفرنسيين:

پوستل (١٥٨١-٥٠٥) (٤) له (عادات وشرعية المسلمين).

فرنسوابتي (١٧١٢ - Etis p) ترجم أربع مخطوطات تبحث في دين الدرّوز^[٢].

ديكوروا (١٨٣٥-١٧٧٥ Du Caurroy) ومن أبرز مؤلفاته التشريع الإسلاميّ في المذاهب الإسلاميّة.

البارون دي ساسي (١٨٣٨-١٧٥٨ Sacy De) وعدّ إمام المستشرقين في عصره، اختلف العلماء في أوروبا قاطبة عليه وأخذوا عنه ونظّموا الاستشراق في بلدانهم على نمطه بفضل، ألف روح الشرائع، وكتب عن ديانة الدرّوز (كفرقة).

بوتيه (١٨٧٣-٨٠٠) (٤) له المذاهب الفقهيّة التي نشأت لدى المسلمين.

الدكتور برون (٨٧٦-٨٠٢) (٠)، له ترجمة المختصر في فروع المالكيّة لسيدى خليل (طبع متناً وترجمة على نفقة الحبية الفرنسيّة). وترجمة ميزان الشرع الإسلاميّ للشعراني.

بلن (١٨٧٧-١٨١٧ Belin) وله: درس الأوقاف الإسلاميّة درساً مشبعاً. ودرس المذهب الحنفيّ من خلال معالجة الجهاد والأوقاف والزكاة. ودرس فتوى متعلّقة بغير المسلمين، مختصّة بالمسيحيين بالأراضي الإسلاميّة (أحكام أهل الذمّة).

اريسيدمار (١٩١٨-٨٢٣) (٤) نشر كتاب بهاء الدين العامليّ؛ وهو فقيه من

[١]- الدراسات الشرقيّة في أوروبا: د. ميشال حجا، ص ٤٦.

[٢]- ملاحظة: إنّ الدرّوز طريقة وليست مذهباً، المذاهب الإسلاميّة.

الإمامية لبناني من جبل عامل، وكان قد طبع في كلكتا عام ١٩١٢.

ديجا (G. Dugat ١٨٢٤-١٨٩٤) له تصنيف تاريخي في فقهاء المسلمين وفلاسفتهم من عام ٦٣٢٠.

دي ميتار (D. meymaral ١٨٢٦-١٩٠٨) وله: بحث عن الفقيه الحنفي محمد بن الحسن الشيباني، ترجمة كتاب مجموعة شرائع تتعلق بالمسلمين.

فنيان (- ١٨٤٦ Fagnan M E) وله: وضع المقابلات في فقه مالك لسيد خليل عام ٨٨٩ أي محمد (المقابلات) في الفقه المقارن، ترجم الحكام السلطانية للماوردي ١٩١٥، ترجم كتاب الخراج لأبي يوسف ١٩٢١، درس الجهاد أو (الحرب المقدسة) في ضوء الفقه المالكي ١٩٠٨، الزواج في الشرع الإسلامي ١٩٠٩.

هبار، (١٨٥٤-١٩٢٧ CI Huart) له: ترجمة الصلاة القانونية (الشرعية، الفرائض) في الإسلام وهي منظمة على شكل قصيدة كردية قديمة تشمل على شرائط الصلاة وأركانها وأقسامها متناً كردياً وترجمة فرنسية عام ١٨٩٥ م.

باسه، (١٨٥٥-١٩٢٤ R. Basset) له صلاة المسلمين في الصين ١٨٧٨.

هري لامنس اليسوعي (١٨٦٢-١٩٣٧) له: الحج إلى مكة عام ١٩٠٢، موقف الإسلام من الفنون المصوّرة عام ١٩١٥، الإسلام عقائد ونظم عام ١٩٢٦، الفقه الإسلامي عام ١٩٣٤.

جان أرتوركي (١٨٧٤-١٩٢٨ J. Armork) نشر كتاب الأشربة لابن قتيبة.

وليم مارسه (١٨٧٤-١٩٥٦ W. Marcals) اتّصل بالفقهاء الذين يعلّمون العلوم الإسلامية. ومثّل الدراسات العربية والعلوم الإسلامية في مجمع الكتابات والآداب خير تمثيل.

أميل آمار (١٨٨٣ Amar-EM) له تحقيق المدوّنة الكبرى في الفقه المالكي مالك بن أنس.

هنري برونو (H. Bruno ١٨٨٨-١٩٤٨) له: النظام المالي في الإسلام، مسؤولية الواقع للأشياء الساكنة عند المذهب المالكي (يبدو أنه يريد بها غير الناطقة).

أوكتاف بل (O. Pesle ١٨٨٩-١٩٤٧) وله القسّم في الشريعة الإسلامية، واقعية القانون الإسلامي (يراد به الفقه الإسلامي)، التنبّي والوصية والزواج والإرث والكفالة والهبة في الإسلام.

ليون بيرشه، (L. Bercher ١٨٨٩-١٩٥٥) له: كتابات فقهية إسلامية عديدة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للغزالي.

لوبينياك (Loubigniac ١٨٩٢-١٩٤٦) له: تقسيم التركة في الإسلام، التمثيل في الشرع الإسلامي، نظام الري في الإسلام، البيع المسبق في الإسلام (أعتقد المطلوب هو البيع المؤجل).

لفي بروفنال (LEVI-PROVENCAL ١٨٩٤ -) له تقويم كتب الشريعة، وترجمة قطعة مصوّرة من صحيح البخاري عام ١٩٢٨ م.

برونشفيج (B. Branschving ١٩٠١ -) له بحوث وكتابات فقهية عديدة، منها: التعبير عن الشك في الفقه الإسلامي، آراء اجتماعية في القانون الإسلامي (المراد الفقه الإسلامي)، حجة فقهية إسلامية من القرن العاشر الهجري.

لاتور (Latoust ١٩٠٤ -) له بحوث فقهية، أبرزها: عرض للشريعة الإسلامية عام ١٩٤٥ م.

لاوست (Laoust ١٩٠٥ -) له: آراء في مذهب ابن تيمية في إشهار الطلاق وغيرها ويكاد أن يكون متخصصاً في فقه ابن تيمية، كتابات عن ابن حنبل وفقه.

لابان جوانفيل (Lapanna joinville ١٩٠٥ -) له: تنظيم الملكية بين الأزواج على المذهب المالكي، ما يتعلّق بالأسرة والزواج والنفقة والطلاق والقاصر في الفقه الإسلامي.

جينون (Rene Guenon ١٩٥١ -) اعتنى بالدراسات الإسلامية وبالخصوص

الفقهية واعتنق الإسلام على المذهب الإسماعيليّ.

ليسياني Luciani (بدون تاريخ) له: كتاب الوصية والبيوع من صحيح البخاري، كتاب البيوع من الموطأ لمالك بن أنس.

أنجر Angeer (بدون تاريخ) طبع الأحكام السلطانية للماوردي وترجمه إلى الفرنسية عام ١٩٠٢ م.

بلييه Pellier (بدون تاريخ) له: ترجم من صحيح البخاري الوصايا عام ١٩٠٩، والبيوع والسلم والخيار عام ١٩١٠ كذلك من صحيح البخاري، ترجم البيوع من موطأ مالك بن أنس عام ١٩١١.

بوسكه (G. H. Bousquet) له: الزواج المشروط، مختصر الفقه الإسلامي على المذهب الشافعيّ، الفقه الإسلاميّ والعرف في شمال إفريقيا، سرّ تكوين الفقه وأصوله، الوصايا على القصر، الطهارة والتطهير في الإسلام، المختصر في الفقه المالكيّ.

مستشرقو ألمانيا

يُعدّ الاستشراق الألمانيّ في مقدّمة الاستشراق على وجه العموم ولحيويّته البالغة في الدراسات الفقهية؛ لأنّه انصبّ أساساً على الحركة التي انفصل بها لوثر عن الفاتيكان (١٤٨٣-١٥٤٦)، فقد أنكر على البابا سلطانه وراح يحاربه بالتوراة وهي أسّ العهد الجديد، وأبرز مستشريقيهم:

وستنفلد (Wustenfled ١٨٠٨-١٨٩٩) وله: تاريخ الفقيه الإمام الشافعي، تهذيب الأسماء للنووي.

مرقس يوسف مولر (M. Harimamn ١٨٥١-١٩١٨) له: الإسلام عقيدة وفقه عام ١٩٠٨. القانون في الإسلام عام ١٩١٤ (أعتقد يُراد به الفقه الإسلاميّ) ١٩٠٦.

فرانكيل (S. Fraenkel ١٨٨٥-١٩٠٩) له القانون الإسلاميّ (أعتقد يراد به الفقه الإسلاميّ) ١٩٠٦. وضع مصنّف في الإسلام ومحمّد.

- زايولد (G. F Seybold ١٨٥٩-١٩٢١) له الفرائض في الإسلام عام ١٩١٤ .
- ميتفوخ (Fug Mittwoch ١٨٦٧-١٩٤٢) له: نشأة الصلاة والشعائر في الإسلام ١٩١١، فتاوى الإسلاميّة ١٩٢٦ (أي يراود به مسائل فقهية وإجاباتها).
- غارل بروكلمان (G. Brokelmann ١٨٦٨-) من أبرز مؤلفاته تاريخ الآداب العربيّة وهو يشمل على مسائل كثيرة في الفقه الإسلاميّ، منها على سبيل المثال: كتاب فقهيّ حول (ذبائح أهل الكتاب) للشيخ المفيد وقد ترجمه خطأ^[١].
- فود ريج كيرن (Fr Kem ١٨٧٤-١٩٢١) له مذهب الفقه الإمام الشافعيّ ١٩١٠ مذهب الفقيه الإمام أبو حنيفة ١٩١١ .
- هورتين (M. Horten ١٨٧٤ -١٩٤٥) له الفقه في الإسلام بون ١٩١٣ .
- رودلف شتروتمان (Rudolf Sfrothmann ١٨٧٧-١٩٦٠) يعدّ أكبر علماء العقائد والفرق. له بحوث عديدة في المذاهب الفقهية في الإسلام، أمثال: الزيدية، الشيعة، الإسماعيلية وغيرها من عام ١٩١٢ لغاية عام ١٩٥٢، فقه الزيدية (أي على فقه الإمام زيد بن علي بن الحسين).
- براجستراسر (S. Bergirasser ١٨٨٦-١٩٤٢) له أحكام الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفيّ ١٩٣٥ علماً أنّه قد أحرز عام ١٩١١ شهادة تدريس العلوم الإسلاميّة من جامعة ليزرغ.
- هلموت ريتير (Hellmut Ritter ١٨٩٢-١٩٧١) لقد أسهم في العلوم الإسلاميّة إسهاماً كبيراً نادراً ما نجده عند عالم آخر مستشرق، شمل جميع علوم الإسلام^[٢].
- جوزيف شاخت (S. hacht ١٩٠٢-١٩٦٩) له نشر كتاب الحيل والمخارج للخصاف، نشر كتاب الحيل من الفقه لأبي حاتم القزوينيّ، نشر كتاب الشفعة للطحاوي عام ١٩٢٩، تاريخ الفقه الإسلاميّ. والأهمّ من هذا كلّ أنّه متخصصّ بالفقه الإسلاميّ.

[١]- تاريخ الأدب العربي: بروكلمان ١٨٨-١ + ٣٠٣-٣٥٠.

[٢]- ينظر مجلة الاستشراق: مجموعة أساتذة وباحثين تصدر عن آفاق عربيّة العدد الثالث عام ١٩٨٩، ص ٦١١.

مستشرقو إنكلترا

بدأ الاستشراق في إنكلترا منذ أمد بعيد وبالخصوص دراسات الشريعة الإسلاميّة والتراث العربيّ الإسلاميّ، وبالرغم من أنّ هذه الدراسات والبحوث لا تختلف عن أغلب الدراسات الاستشراقية العالميّة الأخرى المعروفة بحقدتها وعدم رؤيتها العلميّة الدقيقة في طرحها للمسائل، وقد ظهر مستشرقون، أبرزهم في هذا المجال التخصصي هم:

السير وليم جونز (Sir William Jones 1746-1817) له عدّة مؤلّفات عن الشريعة الإسلاميّة، منها: في علم الفرائض والمواريث الإسلاميّة لسراج الدين السخاوي كلكتا 1792. أشرف على ترجمة شرائع الإسلام للمحقّق الحلّيّ من الإماميّة. أشرف على ترجمة تحرير الأحكام لابن المطهر العلامة الحلّيّ من الإماميّة. جوهن لويس بوركهارت (G. I. Burckhardt 1784-1817) تفقّه بالدين الإسلاميّ وله محاضرات عديدة فيه.

وليم هوك مورلي (W. H. Morley 1815-1860) له الشريعتان الإسلاميّة والهنديّة.

ألفونس منغنا (1815-1860) له كتب في فقه الزيدية المقدّسة.

ملاحظة: إنّه موصلّي الأصل^[١].

أثر ستانلي تريتون (- 1881 A. S. Triton) وجّه اهتمامه إلى الفقه الإسلاميّ بعدّة عناوين واتجاهات فقهية^[٢].

ألفريد جيوم (- 1888 A. Gullaurne) له التشريع الإسلاميّ، تراث الإسلام بمعاونة أرنولد^[٣].

أ.ج. أربري (A. J. Arberry - 1905) له تصانيف كثيرة في الإسلام، منها: موقف

[١]- ينظر المستشرقون: نجيب العقيقي ٢-٥١٥، ط ٣.

[٢]- المصدر نفسه، ٥٣٨-٢-٥٣٩.

[٣]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ط ٣، ٢-٥٤٣.

- الإسلام من الحرب (١٩٤٠) (أعتقد مفهوم الجهاد الإسلامي). تراث الإسلام.
- اللورد ستانلي أوف الدرلي (Ord Stanley of Alderley) له نشر شرح البزدوي على الفقه الأكبر (لندن ١٨٦٢).
- وود برتشرد (Brecherd) له الإسلام (مدراس ١٨٨٠). الإسلام والإصلاح ١٨٧٨.
- ج- ترجم مجموعة سنن المسلمين الشيعة. (يبدو أنه ترجم قسم من روايات الإمامية).
- كانون إداورد سل (Sell. GDE) له الإسلام (مدراس ١٨٨٠). أبحاث عن الإسلام (مدراس ١٩٠١).
- ريتشارد بل (R. Bell) له أصل عيد الأضحى ١٩٣٣. الأذان الإسلامي. وأذن في الناس بالحج ١٩٣٧. الطلاق في الإسلام ١٩٣٩.
- ج. ن. د. أندرسون (Gn.d Andrson) له: الشرع والفقه الإسلامي ١٩٤٩. إبطال الزواج على المذهب الحنفي ١٩٥٠. (يبدو أنه يريد الطلاق)، جريمة القتل في الإسلام ١٩٥١.

مستشرقو هولندا

عرف الهولنديون العربية قبل معرفة الألمان لها وتصلعوا فيها واطلّعوا على الإسلام؛ أما الأسباب فعديدة تلخص في أمور، هي: الخلاف الديني الذي وقع بخروج لوثر على الكاثوليكية خروجاً عن الغرب وقُضي عليه بالعودة إلى التوراة، وتأسيس جمهورية الولايات الهولندية المتحدة، واتصال الهولنديين بعرب مراكش والجزائر وطرابلس والغرب ومسلمي الهند الشرقية اتصالاً سياسياً وتجارياً.

وعندما تقرّر تأليف دائرة المعارف الإسلامية عام (١٨٩٥م) أمدتها المجامع ومؤسّسات نشر العلم بالمال، وأشرف عليها (هوتسما) وعاونه فيها علماء أكفاء فصدر الجزء الأول منها بالفرنسية والإنجليزية والألمانية (١٩١٣م) وتولّى أمرها الهولندي فنسك (١٩٢٤) فأتبعه بثلاث أجزاء وذيل بعد ذلك جزءاً رابعاً، والمعجم

المفهرس لألفاظ الحديث النبوي بإشراف فنسك ١٩٣٧م^[١].

وفيما يأتي أبرز المستشرقين الهولنديين:

ون (P. YVETH ١٨١٤-١٨٩٩) درس الشرائع الإسلاميّة والمبادئ الدينيّة والفقهية.

جو ينبول (JUYNDO ١٨٢٠-١٨٦١) نشر التنبيه في الفقه الشافعيّ للشيرازيّ.

دي يونج (deyong ١٨٣٠-١٨٩٠) نشر الزواج ليحيى بن آدم.

دي خويه (M. J. degoeje ١٨٣٦-١٩٠٩) نشر نبذة من كتاب الخراج لقدماء بن جعفر ١٨٩١.

كريستيان سنوك هربرونجه (G. S. Hurbronje ١٨٥٧-١٩٣٦) اشتهر في فهم الفقه الإسلاميّ، له آثار أبرزها: الحجّ إلى مكّة عام ١٨٨٥. الفقه الإسلاميّ ١٨٨٦. القانون الإسلاميّ ١٨٨٩. مجموعة دراسات عن الإسلام وتاريخه وشريعته.

ونسك أو تكتب مترجمة فنسك (A. Jwensinck ١٨٨١-١٩٣٩) له جهود وخدمات قيّمة وكثيرة في الشريعة الإسلاميّة، ويمكننا القول: إنّه أكثر المشرفين جهوداً، أبرزها: الخمر في الإسلام. ب مقالات كثيرة عن الغزالي. موقف الرسول من يهود المدينة (وهي رسالة دكتوراه) ١٩٠٨. محمّد واليهود ١٩١١. الإسرائيليات في الإسلام ١٩١٣. الأثر اليهوديّ في أصل شعائر الإسلام ١٩٤٥ وله جهود كثيرة في الحديث الشريف وجمعه.

درويز (أو برتجم) دريفيس (S. Drews ١٨٩٩-) تخصص في الشريعة الإسلاميّة وسمّي أستاذاً لها في باثافيا، له الحجّ عام ١٩٣٠.

مينسنج (Mensing I. RM ١٩٠١-١٩٥١) نال شهادة الدكتوراه برسالة في الحدود في الشريعة الإسلاميّة على المذهب الحنبليّ عام ١٩٣٦.

دي فريوس (Devries) له: أصول الفقه الشافعيّ، كتابات إسلاميّة في اليوم الآخر^[٢].

[١]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ط ١، ص ١٣٦-٦٥١.

[٢]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ط ١، ص ٦٥١.

مستشرقو إيطاليا

كانت إيطاليا أولى أمم الغرب التي عرفت الاستشراق، وهو تعرّف الرومان إلى الشرق قبل غيرهم ومزاحمة الأكاسرة عليه، وتمّ ترجمة بعض كتب المذاهب الإسلامية؛ كالشافعية والمالكية والحنبلية^[١] وأدناه أدرج أبرز مستشريقي إيطاليا:

أغناطيس جويدي (1844-1935) (Guldi Lanagzlo) ترجم ج ١ المختصر لخليل بن إسحاق عام ١٩١٩ وغيره. وجدير ذكره أنّ ابنه ميكلنجو جويدي (M. Guidi) ولد عام ١٨٨٦ كتب في الفقه الإسلاميّ.

رايفد سانتلانا (1845-1931) (D. Santillan) له وضع القانون المدنيّ والتجاريّ معتمداً على قواعد الشريعة الإسلامية، وهذه الدراسات تكاد تكون مقارنة. كان له معرفة واسعة شاملة بالمذهبين المالكيّ والشافعيّ. تولّى ترجمة مجموع الأحكام المالكية الأكثر شيوعاً في أفريقيا الشماليّة وشرحها، وهو مختصر خليل بن إسحاق، له كتاب الفقه الإسلاميّ المالكيّ ومقارنته بفقه المذهب الشافعيّ.

استدعته جامعة روما لتدريس القانون الإسلاميّ (لاشتهاره بتدريس الفقه الإسلاميّ).

له دراسة في فقه الإمام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

كارلو ألفرنسو نالينو، (1872-1938) (G. A. Nallino) كتب عن تأثير الشريعة الإسلامية في أوروبا في كتابيه (الحضارة الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى) (العالم الإسلاميّ وأوروبا^[٢])، نشر كتاب الفقيه ابن رشد (في الفقه المالكيّ).

جريفيني (1887-1935) (Eugenio Griffini) له: تحقيق مجموع الفقه للإمام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وطبعه. كتب ومؤلفات في الشريعة الإسلامية. إنّه اكتشف أوّل تدوين في الفقه الإسلاميّ (وهو الفقه الزيديّ).

مورينو (1892-) (Bussi Emlllo) له: في الفقه الإباضيّة من الخوارج. بعض

[١]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ط ١، المصدر نفسه، ص ١٥٢-١٥٤.

[٢]- مع المستشرقين الإيطاليين: د. سوزان إسكندر، ص ١٧.

الكتابات الفقهيّة للمذاهب الإسلاميّة الأخرى.

بوسي (Emillio Bussl) له: الشرط في الشريعة الإسلاميّة في المجموعة القانونيّة. القانون الإسلاميّ (الفقه الإسلاميّ) مراجعة مقارنة.

دي ميليا (Emilla Antonio) له: دراسة خاصّة بالفقه الإسلاميّ، دراسة مقارنة للفقه الإسلاميّ مع القانون الوضعيّ الرومانيّ والبريطانيّ.

مستشرقو الدنمارك

يعود الاستشراق الدنماركيّ إلى عهد التوراة متأثراً بألمانيا ثمّ تشبهاً بالدول الكبرى التي عنيت بالاستشراق، إلاّ أنّه كان بطيئاً في أوّل أمره، وفيما يلي أبرز المستشرقين:

فان مهرون (Van Mehron ١٨٢٤-١٩٠٧) درس في العلوم الإسلاميّة وتعمق فيها وخاصة الفقه الإسلاميّ.

بوهل فرنفر (F. Buhl ١٨٥٠-١٩٣٢) له كتاب في تعاليم محمّد (أي بقصد تعاليم الدين الإسلاميّ وهو الفقه الإسلاميّ).

بدرسن (-١٨٨٣ Pedersen) له: القسم في الإسلام. دراسات في المواضيع الإسلاميّة والفقه. كتاب في جميع نواحي الدين الإسلاميّ.

ليديركبركهاد (J. L. Burckhard) كتب عن الحجّ في الإسلام (كتابة عن دراسة الحجّ ووصفه حيث زار مكّة والمدينة). نشر ما كتبه في لندن وألمانيا عن الشريعة الإسلاميّة عام ١٨٢٩.

كارستون نيبون (Garsten Nibuhr) قام عام ١٧٦١ برحلته إلى شبه الجزيرة العربيّة لدراسة الإسلام بناء على رغبة ملك الدنمارك^[١].

[١]- المستشرقون والأماكن المقدّسة: د. محسن جمال الدين، دار الثقافة، بغداد ط١٩٦٧ ص١٥ وما بعدها.

سابعاً: مشرقو النمسا

إن أول استشراق عرفته النمسا هو الاستشراق السياسي لارتباطها بتركيا. وتركيا آنذاك الدولة التي بسلامتها يتوازن الغرب ثم تحول الاستشراق السياسي إلى الاستشراق العلمي^[١].

وفيما يأتي أبرز المستشرقين

الأب ياهن (1816-1850) (jahn) له: أقوال النبي محمد ﷺ. بـ «مواعيد الصلاة» بترجمة ألمانية.

البارون كريمر (1828-1889) (Kremer) له: الأحكام السلطانية للماوردي (مترجمة) علماً بأنها نُظِمَ والنُظِمَ في أحكام فقهية شرعية.

سيرنجر (1893-1813) (Sprenger) له كتابات في الدين الإسلامي كثيرة، منها: كتاب الحدود في الفقه، كتاب في تعاليم محمد ﷺ.

محمد أسد: أعلن إسلامه سنة 1926 وأسمى نفسه محمد أسد فدافع عن الدين الإسلامي في كتابه الطريق إلى مكة، والإسلام على مفترق الطرق^[٢].

ثامناً: مستشرقو أمريكا

يكاد يكون الاستشراق الأمريكي هو حصيلة الجهود لمختلف الدول التي سبقتها كفرنسا وهولندا وألمانيا وبريطانيا وغيرها سواء في المجال السياسي والديني والاقتصادي والجغرافي أو التاريخي وما إلى ذلك، وهو ما يبدو جلياً من خلال ما تقوم به هذه الدولة الحاقدة على العرب والمسلمين خلال التاريخ المعاصر وفي الأونة الأخيرة على وجه الخصوص، منها على سبيل المثال لا الحصر تنظيم جمعية الاستشراق الأمريكي عام 1927 ندوة خاصة عن الإسلام. بعدها كتب

[١]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ١-١٦٥.

[٢]- المستشرقون والأماكن المقدسة: د. محسن جمال الدين، ط١، ص٥٦.

المستشرق آدمز عن اتجاه التفكير في مصر والدين المقارن في جامعة الأزهر^[١].

أدناه، أبرز المستشرقين الأمريكيين في المجال الفقهي:

دنكان بلاك ماكdonald (D. B Macdonaldi ١٨٦٣-١٩٤٣). له كتابات وآثار فقهية عديدة، أبرزها: مذاهب الفقه والنظم ١٩٠٣. في الفقه الإسلامي ١٩١٣. تاريخ الدراسات الفقهية في الإسلام ١٩٢٥. الزمن في المدرسة الفقهية ١٩٢٨.

شارلز آدمز (CH. Adams) له: كتابات في العلوم الإسلامية. في الفقه المقارن في جامعة الأزهر^[٢].

جورج رنتز (Rentz G. S ١٩١٢-) له كتابات عديدة في الفقه أغلبها عن الوهابية. كتاب في أصول تاريخ الوهابية^[٣].

تاسعاً: مستشرقو المجر

لقد عنى المجرّيون بالشرق وأفادوا من ترجمة علوم العرب، وكان لهم طبقة كبيرة من المستشرقين في شتى المجالات، وقاموا بالرحلات وبالخصوص في القرن الثامن عشر ثم بالدراسات الشرقية بعد احتلال العثمانيين للمجر، وفيما يأتي أبرز المستشرقين في التشريع الإسلامي:

جولد زيهر (أو يترجم) كولد سهير (Gold Seher ١٨٥٠-١٩٢١) له آثار عديدة عن الإسلام وفقهه، وله مواقف سلبية حاكمة ضد الإسلام عن قصد وعن غير قصد؛ لأنه يهودي، وكانت رسالته للدكتوراه عن (تنخوم اورشليمي)، كتابات عن الظاهرية وتاريخهم عام ١٨٨٤. التنقية في الإسلام ١٩٠٦. العقيدة والشريعة في الإسلام (باريس) ١٩٢٠. الفقه العربي (هل هو عربي أم إسلامي).

ملاحظة: عند دراستي للماجستير تعرّضت لمؤلفات الشيخ المفيد من الإمامية، منها: كتاب (ذبائح أهل الكتاب) وهو يتحدث عما يتعلّق بحلّية ذبائح أهل الكتاب أو

[١]- تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربي: د: عبد الجبار ناجي، ص ٥٦.

[٢]- المستشرقون: نجيب العقيقي ٣-٩٢٢.

[٣]- المصدر نفسه.

عدمها، وقد ترجمه (جولد سهير) (بأنه معارك اليهود والنصارى^(١)).

سالمون اسزترن (أو ترجم) سالمون أوسترن (1944 - 1879 .S Osztern) له دراسات في الفقه الإسلامي: كتاب في فقه الإسلام والجهاد. وآراء الشريعة في القرآن. يلبوس جرمانس (-1884 J. Germanus) له كتاب الحج في الإسلام، عنوانه: (الله أكبر).

عاشراً: مستشرقو أسبانيا

من المعلوم أن العرب قد حكموا أسبانيا سبعة قرون وأن الأندلس كانت مركزاً للإشعاع الفكري للأمم العربية والإسلامية، وتمتلك كل جامعة من جامعات أسبانيا اليوم مخزوناً ثرياً من التراث العربي الإسلامي، وما مكتبة الأسكوريال إلا واحدة من الشواهد على ذلك، وفي أدناه أبرز المستشرقين للفقه الإسلامي:

سانشيت بيرت (1882-1958 Snsht. B) صنّف كتاباً في قسم الموارد بين المسلمين على مذهب مالك في مدريد عام 1914.

الأب كارلوس كيروس (Garlos Guiros) له حكم الشرع في التملك على المذهب المالكي (في تطوان 1935).

الأسقف لوبيث أوتيت (-1898 Lopez Ortiz) له: فقهاء المسلمين. المفتون في المحكمة الشرعية (ويريد بهم القضاة). الفقه الإسلامي في الدراسات الألمانية. الفقه الإسلامي في برشلونة 1932.

الحادي عشر: مستشرقو جيكوسلوفاكيا

كان لجيكوسلوفاكيا مستشرقون من العلماء والباحثين درسوا الشرق لكافة العلوم وبالأخص علوم الشريعة الإسلامية، وقد شهد العلماء بهم عمقاً وشمولاً

[١]- ينظر رسالة الماجستير: صاحب محمد حسين نصّار، جهود الشيخ المفيد، مطبوعة على الآلة الكاتبة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد عام 1989 ص 171، العقيدة والشريعة جولد تسهير ص 353، تاريخ آداب العرب: بروكلمان 1881.

وتفردًا، وهم كما يأتي:

١- بول كراوس (١٩٤٤ - ١٩٠٤) P. Kraus، له تدريس وتأليف في الشريعة الإسلامية وعلومها^[١].

٢- بوليفكونا (١٩٢٥-) Polivkova z (وهي امرأة كتبت بالاستشراق) المتخصصة في الدراسات الإسلامية، ولا سيما في الشرع الإسلامي^[٢].

الثاني عشر: مستشرقو روسيا

مرّ الاستشراق الروسيّ بمرحلتين مهمّتين الأولى قبل ثورة عام ١٩١٧ والثانية بعدها علمًا بأنّ المرحلة الأولى أنشط وأبرز من الثانية؛ وذلك لانشغال الناس والدولة بالحوادث والمشاكل لذا لم تكن بمستوى الدول الأخرى الغربية^[٣]. وفيما يأتي أبرز المستشرقين بخصوص الفقه الإسلاميّ:

جير جاس (١٨٨٨ - ١٨٣٤) Girgass W.O له حقوق النصارى في البلاد الإسلامية (أعتقد يراد به أحكام أهل الذمة).

شمت (A Schmidt). ترجم كتاب الخراج لأبي يوسف وهو من فقهاء الحنفية.

الثالث عشر: مستشرقو بلجيكا

مرّ الاستشراق البلجيكيّ بمراحل مهمّة حتّى بلغ المكانة المرموقة بصورة عامّة وما يخصّ الفقه الإسلاميّ بصورة خاصّة، وأبرزهم:

أرمان آبل (١٩٠٣-) A. Abel. له مباحث في الشرع الإسلاميّ^[٤].

[١]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ١-١٩٣، ط١٣.

[٢]- المستشرقون: نجيب العقيقي، ٣-٣٣٨، ط٣.

[٣]- الاستشراق السوفياتي والتراث العربي: سهيل فرج، ص١٩.

[٤]- الاستشراق: نجيب العقيقي، ٣-١٠٣١.

الرابع عشر: مستشرقو سويسرا

للاستشراق السويسريّ من جهود العلماء والباحثين عن الشرق عامّة والإسلام والعرب خاصّة، وقد ظهر منهم علماء أكفأ، أهمّهم:

رودولف تشودي (- ١٨٨٤ R. Tschudl) له الإسلام والجهاد هامبورج أو هامبورغ^[١] ١٩١٤.

المبحث الثالث

دراسة جهد أحد المستشرقين نموذجًا تطبيقيًا

أحاول في هذا المبحث عرض جهد استشراقيّ كنموذج تطبيقيّ للدراسة والبحث والمراجعة، وقد تمّ اختيار المستشرق البريطانيّ نويل. ج. كولسون على سبيل المثال للتطبيق لا على سبيل الحصر والتحديد؛ وذلك لتخصّصه في المجال الفقهيّ من خلال دراساته وأبحاثه، وكما يأتي:

يعدّ المستشرق نويل. ج. كولسون من أبرز المستشرقين الذين يعنون بالفقّه الإسلاميّ^[٢]؛ لأنّه كان أستاذًا للقوانين^[٣] الشرقيّة في جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقيّة والأفريقيّة) وقد كتب مؤلّفات عديدة في التشريع والفقّه الإسلاميّ، أبرزها هي:

(تاريخ القانون الإسلاميّ) يعني (الفقّه الإسلاميّ) .Ahistory of Islmic Law.

(اختلاف الآراء في الفقّه الإسلاميّ) 1964 Conflicts and tehSIONS in.

(نجاح وتماسك العائلة في الإسلام) Family, Succession in the Muslim.

.1971

[١]- الاستشراق: نجيب العقيقي، م.س، ٣-٨٨٦.

[٢]- منهاج المستشرقين في الدراسات العربيّة الإسلاميّة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، مطبعة مكتب التربية العربيّ لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٥م، ١-٢٥٤.

[٣]- يطلق على الفقّه في الدراسات الوضعيّة والاستشراقيّة القانون.

فضلاً عن عدد غير قليل من المقالات والبحوث المنشورة في الدوريات القانونيّة البريطانيّة والأمريكيّة وغيرها، لعلّ أهمّها دراسته عن الفرد والدولة:

The State and the individual in Islamic Law (international and comparative Law Quarterly, gan 1957).

ودراسته عن النظريّة والتطبيق في القانون (الفقه الإسلاميّ) (هي المثاليّة والواقعيّة في الفقه الإسلاميّ) كما ترجمت^[١].

Doctrine and practice in Islamic LAW, BSOAS (1812- 1956).

وكان مهتماً بتدريس (الفقه الإسلاميّ) منذ أكثر من ربع قرن في جامعة لندن. دواعي عرض المستشرق نويل. ج. كولسون كنموذج للتطبيق للأسباب الآتية: تخصصه في الفقه الإسلاميّ كتابة وتدرّيساً من خلال أعماله وبحوثه وله كرسي الأستاذيّة في الجامعات البريطانيّة.

نظرته للفقه الإسلاميّ تختلف تماماً عن المستشرقين الآخرين من الذين يرون أنّ الفقه الإسلاميّ نظام بال ولم يواكب تطوّر الحياة المطلوبة كما هو الحال في الأنظمة والقوانين الأخرى.

محاولاته العلميّة من خلال التدريس والكتابة والبحث والمقارنة بين القانون المدنيّ (الوضعيّ) والفقه الإسلاميّ.

الذي يبدو من خلال كتاباته أنّه يختلف عن المستشرقين الآخرين؛ كونه يمثل الجانب العلميّ بخلاف أغلبهم حيث يمثلون البحث الموجه في خدمة السياسة والاستعمار والتعصّب الدينيّ التبشيريّ^[٢].

مسألة النظريّة والتطبيق في الفقه الإسلاميّ والمراد بها المثاليّة والواقعيّة، وهي من

[١]- ينظر: المثاليّة والواقعيّة: مصطفى شلبي، بيروت عام ١٩٨٢، ط ٢.

[٢]- ينظر: دراسة خاصّة عن كولسون لإدوارد سعيد، منهاج المستشرقين: جماعة من الأساتذة والباحثين الصادر عن مكتب الشريعة لدول الخليج الرياض، ص ٢٥٥.

أهم الخصائص التي انفرد بها التشريع الإسلامي، وهي من أبرز المسائل التي تعرّض لها كولسون، وكما يأتي: في الواقع إنّ هذه المسألة قد التبس الأمر فيها عند جلّ المستشرقين - إن لم نقل جميعهم - في عدم فهمها؛ لأنّها من الخصائص التي اختصّ بها التشريع الإسلامي؛ كونها سماوية مستمدة من القرآن الكريم مصدر الشريعة الأوّل فضلاً عن السنّة الشريفة التي هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية الغراء، وقد أثارت جدلاً ونقاشاً وأوردوا نفي وصف الصلاحية للتطبيق في أحكام الشريعة. وقد خصّص كولسون فصلاً في كتابه (Conflicts and Tensions) للتنازع بين النزعة المثاليّة والنزعة الواقعيّة^[١].

إنّ معنى المثاليّة هو نزوع هذه الأحكام الشرعيّة الإسلاميّة بالإنسان إلى العلوّ فوق الشهوات والنزوات وتحكيم العقل والعدل بدلاً من تحكيم الهوى، فأحكام الإسلام ترمي إلى تخلّق المرء بخلق الإنسان الفاضل إن لم يستطع الوصول إلى خلق الإنسان الكامل فهذا هو معنى المثاليّة^[٢]، أمّا الواقعيّة في الفقه الإسلاميّ والشريعة بصورة عامّة فهي لا تعني خضوعها لرغبات المكلفين وتحقيقها لما يشتهون، فإنّ هذا المعنى لا يقرّه أيّ نظام قانونيّ وضعي ولا يقرّه على عمله أيّ صانع للتشريعات الوضعيّة، وإنّما الواقعيّة في الشريعة الإسلاميّة تبدو واضحة في تحقيق مصالح الناس ورفع الحرج عنهم وعدم تكليفهم بما لا يطيقون من الواجبات والأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^[٣].

مراجعة وتعقيب على كتابه الآخر (تاريخ الفقه الإسلاميّ Ahistory of Islamic Law).

قبل الدراسة والمراجعة والتعقيب نحن نعلم بأنّ المراد بالقانون هو الفقه الإسلاميّ، فقد ذكر في كتابه أنّ القاعدة القانونيّة في الشريعة الإسلاميّة لا تختلف عن القاعدة القانونيّة في أيّ نظام قانونيّ آخر من حيث تكوينها من شقّي الجزاء

[١]- منهاج المستشرقين، عدّة أساتذة ص ٢٥٧ (ملاحظة مهمّة من المؤسف أنّ بعض أساتذة الجامعات في مصر مثلاً قد تردّد هذا الشيء في كتاباتهم على وجه الخصوص في مطلع القرن العشرين).

[٢]- نرى أغلب الدول الإسلاميّة تعمل بالنظام الإسلاميّ المثاليّ، فكان نظاماً رائعاً بكلّ مفاصله؛ لأنّه يمثل نظم السماء.

[٣]- سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

والتكليف^[١]، أقول: إن من أساسات الجزاء في الشريعة الإسلامية أنه جزاء ثنائي وليس كما هو الحال في الشرائع الوضعية وقوانينها والتي يكون الجزاء فيها أحادي، أما من ناحية التكليف ففي الشريعة الإسلامية يجب أن يكون عن فهم وإدراك وإيمان ولا توجد قوة وإجبار وإكراه في التكليف لتطبيق الشريعة الإسلامية وامثالها. والذي يبدو أن كولسون لم يتدبر هذا الأمر بحيث خلط بين التشريع السماوي والوضعي.

وهناك تناقض آخر في عباراته في مورد آخر، حيث يذكر:

إن التعبيرات القانونية للشريعة الإسلامية لم تفتقر إلى الاعتبارات العملية الملائمة للحاجات الحقيقية للمجتمع، ثم يقول هنا: إن أحكام الشريعة الإسلامية المثالية اضطرت لإفساح المجال أمام الأحكام المحققة للحاجات العملية والتي وصفها قبل قليل بأنها مثلت انحرافاً عن الأحكام الشرعية الدقيقة فكيف يمكن التوفيق بين هاتين المقولتين^[٢]، وفي نص آخر يتوضح تضارب الآراء عنده من خلال ما كتبه عن دور القرآن الكريم في التشريع، فقد أورد: «إن القرآن الكريم لم يتبع على نحو مبدئي العناصر الإسلامية لأية علاقة قانونية بغية استقصائها، ويعتبر ذلك عيباً في التشريع القرآني لم تقع فيه قوانين الألواح الاثني عشر الرومانية القديمة^[٣]»، وفي مكان آخر يقول: «لم يقدم القرآن تقيناً مباشراً ومحددًا للمسلمين الملتزمين في سلوكهم وحياتهم بمقاييس الشرع وقواعده^[٤]».

بعد ذلك، يذكر في المصدر نفسه أن «القرآن الكريم قد أرسى بشكل قاطع المبدأ المتمثل في أن الله تعالى هو وحده مصدر كل حكم، وأن أمره يجب أن يطاع في كل شأن من شؤون الحياة^[٥]». ومن الواضح الجلي أن كولسون مخطئ في فهم طبيعة النص القرآني؛ حيث يرى بأنه مجموع نصوص قانونية، فهو يحاول مطابقتها مع النصوص القانونية. وهنا يكمن الخطأ؛ فالقرآن كتاب سماوي هو كتاب هداية أولاً

[١]- تاريخ الفقه الإسلامي: كولسون، ص ٣٩.

[٢]- ينظر: المثالية والواقعية: مصطفى شلبي بيروت عام ١٩٨٢، ط ٢، ص ٤٢٨، تاريخ الفقه الإسلامي: كولسون.

[٣]- تاريخ الفقه الإسلامي: كولسون، ص ٤٣.

[٤]- المصدر نفسه، ص ٥١.

[٥]- المصدر نفسه، ص ٥٦.

وأنه المعجزة الخالدة وكما هو معلوم أن الفقه الإسلامي هو نظام قانوني يستمد قوته الإلزامية من كونه تعبيراً عن إرادة الله، وهذا مترتب على معنى الإسلام وهو التسليم الكامل لله عز وجل، بينما يدرس كولسون الفقه الإسلامي كما يدرس القوانين الوضعية الأخرى كالروماني والقوانين الأخرى^[١].

الخاتمة ونتائج البحث

وفي ختام هذه الدراسة وهذا البحث العلمي في شأن الاستشراق في المجال التشريعي الفقهي، أوضحت الدراسة وأبرزت البحث نتائج لا بد من طرحها على الصعيد العلمي؛ وذلك لبيان الجانب المهم والأساس من جوانب الاستشراق باستقراء الجهود المبذولة وتقييمها على شكل نقاط، وكما يأتي:

إن دراسات المستشرقين لم تكن مختصة بجانب واحد أو غرض أو هدف محدد، وإنما حيث يتجه قصدهم، ومهما كان مستوى هذه المصالح والأغراض.

يجب أن لا يغرب عن البال أن المستشرقين أساساً درسوا الشرق والعرب والمسلمين لغرض أهدافهم ومصالحهم وغاياتهم، وغرض الغرب بأي شكل كان هو الوقوف في وجه الإسلام بشتى الأساليب.

ومهما كانت الآراء في الاستشراق ونزاهته، وإعطاء الرأي فيه سلباً أو إيجاباً، فقد خلصوا إلى مسألتين مهمتين، وهما:

إن الاستشراق أساس انبثاقه من أفكار ورؤى تبشيرية دينية، وهي من وجهة نظر المسلمين تخريبية تهدف إلى العبث بترائنا الفكري والحضاري والثقافي، وتلك هي من أخطر أنواع الحروب وأمضاها.

إن أغلب المستشرقين كانوا أساتذة وباحثين في التحقيق والتدقيق في التراث والغوص فيه بغض النظر عن أغراضهم وعن تبين هذه الأغراض، الذي قد تخلو في بعض منها من الشوائب والأخطاء عن قصد أم غير قصد، إلا الهدف العلمي المحض فتناولوا ترائنا بالكشف والجمع والتقويم والفهرسة.

[١]- منهاج المستشرقين: جماعة من الأساتذة ١-٢٥٥ الرياض.

أعاد أهل الكتاب النظر في كتبهم المقدّسة وبالأخصّ المسيحيّون، وكذلك التبشير الذي يمثّل ما تأثروا بعظمة القرآن الكريم بعدم التحريف وهذا يتوضّح أكثر في حركة الإصلاح الدينيّ المسيحيّ، ويبدو لي أنّ المسيحيّين شعروا بالقصور والتقصير والتفريط بكتابهم المقدّس.

يوجد فرق جوهريّ أساسيّ بين التبشير والاستشراق، إنّ التبشير هو نشر الديانة المسيحيّة، بينما الاستشراق هو دراسة الشرق من حيث السياسة والاستعمار والاقتصاد والدين وما إلى ذلك وعلى الرغم من وجود علاقة وطيدة بينهما لتقارب الأهداف والدوافع والغايات وكذلك تعلّم اللغة العربيّة من الطرفين التي هي لغة الإسلام ولغة العرب فضلاً عن المسائل الأخرى.

محاولات البعض من المستشرقين الخبيثة والحاقدة في تعميق الخلافات الفقهيّة الاجتهاديّة بخصوص الرؤية الخاصّة لكلّ مذهب وفتاواهم ومواقفهم الشرعيّة فيها، منها على سبيل المثال لا الحصر: أهل الذمّة والعبوديّة والحسبة، وقد غاب عنهم أنّ عظمة التشريع وبلورته تكمن في مدى اختلافهم الاجتهاديّ في ضوء الأدلّة الشرعيّة كالكتاب الكريم والسنة الشريفة وغيرهما.

تنوّع الجهد الاستشراقيّ بصورة عامّة والفقهِ الإسلاميّ على وجه الخصوص سواء أكان بحوثاً أم دراسة أم مؤتمرات أم منشورات أم تحقيقاً أم نشرًا أم تأليف الكتب الخاصّة بالموضوعات المحدّدة أو المسائل العامّة.

لائحة المصادر والمراجع

١. خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.
٢. الاستشراق والتراث: جمال الدين الألوسي، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، (ب، ت، ط). ٢. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي: مالك بن نبي، دار الإرشاد، بيروت، ط ١، ١٩٦٩ م.
٣. تطوّر الاستشراق في دراسة التراث العربي: د. عبد الجبار ناجي، منشورات دار الجاحظ للنشر - بغداد، ط ١، ١٩٨١ م.
٤. الجهود النحويّة خلال القرآن الرابع عشر الهجري: د. عفيف عبد الرحمن، دار الرشيد، بغداد عام ١٩٨١ م.
٥. العقيدة والشريعة الإسلاميّة: كولدتسهير، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب العربيّ القاهرة ١٩٤٦، ط ١.
٦. الفكر الإسلاميّ الحديث وصلته بالاستعمار الغربيّ: د. محمد البهي، منشورات مكتبة وهبة، مصر مع (ب، ت، ط).
٧. فيما يقال عن الإسلام: عبّاس محمود العقّاد، مطبعة المدنيّ، مكتبة دار العروبة القاهرة، (ب، ت، ط).
٨. المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، القاهرة ط ١، عام ١٩٦٤ م.
٩. المستشرقون والحديث النبويّ: محمّد بهاء الدين، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد، كليّة الشريعة عام ١٩٨٥ م.
١٠. المستشرقون والأماكن المقدّسة: د. محسن جمال الدين، دار الثقافة بغداد، ط ٢، عام ١٩٦٧ م.
١١. منهاج المستشرقين: د. سعدون الساموك، عبد القهار العاني، مطبعة التعليم العالي والبحث العلميّ، الموصل، ١٩٨٩ م.

١٢. منهاج المستشرقين في الدراسات العربيّة الإسلاميّة: مجموعة بحوث لأستاذة وباحثين بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجريّ، الصادر عن المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والفنون، لدول الخليج العربيّ الرياض عام ١٩٧٥ م.
١٣. مناهل العرفان: عبد العظيم الزرقاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ط ٢، عام ١٩٧٢ م.

المجلّات

١. مجلّة الاستشراق: مجلّة علميّة تصدر عن دار آفاق عربيّة، بغداد، لعدّة أستاذة وباحثين، العدد الثالث عام ١٩٨٩ م.
٢. مجلّة الهلال: مجلّة علميّة تصدر في مصر القاهرة (بحث بعنوان التراث الإسلاميّ والمستشرقون): أنور الجندي العدد الأوّل، السنة الرابعة والثمانون يناير عام ١٩٧٦ م.
٣. مجلّة باحث: الدراسات الشرقية في أوروبا، بيروت، العدد الثالث عشر، أيلول عام ١٩٨٠.